الدّنيا محظوظة

تأليف سمير مالطي

رسم ساندرا غصن







أصالة للنشر والتوزيع – طبعة أولى 2009
ISBN: 978-9953-513-84-3

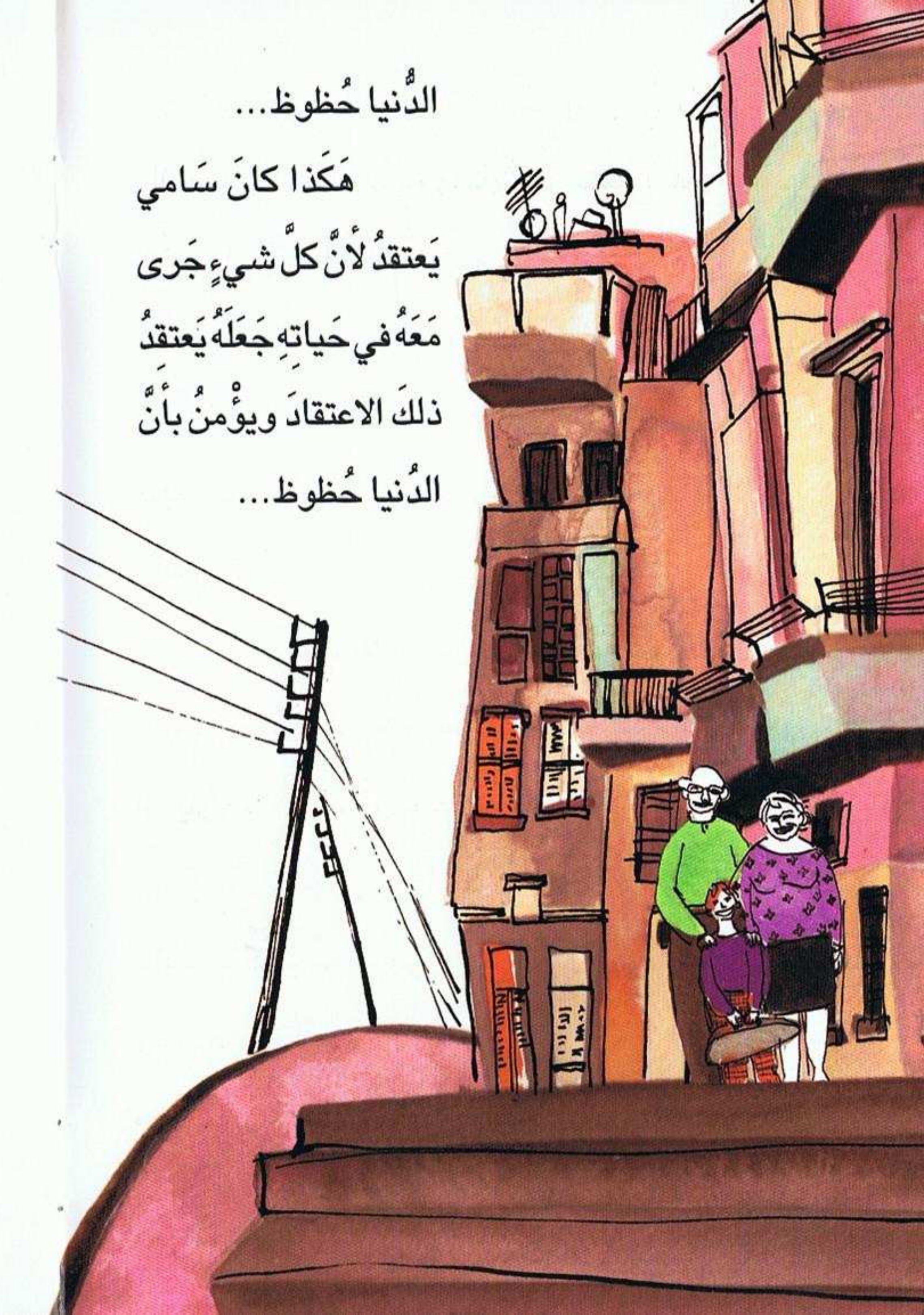
تلفون: 093 736 1 961+
فاكس: 071 736 1 961+
ص.ب.: 11/3434
الزيدانية، بناية كريدية – بيروت، لبنان

الدُّنيا حُظوظ



تأليف سمير مالطي

رسم ساندرا غصن



الدُّنيا حُظوظ...

هَكَذا كانَ سَامي

يَعتقدُ لأنَّ كلَّ شيءٍ جَرى

مَعَهُ في حَياتِهِ جَعَلَهُ يَعتقدُ

ذلكَ الاعتقادَ ويؤْمنُ بأنَّ

الدُنيا حُظوظ...

وسَامي، منذُ أنْ كانَ صغيراً، يحبُّ الموسِيقى، وقد انتبَهَ والداه إلى ذلكَ الشيءِ، وحَاولا أن يُبعداهُ عن الآلاتِ الموسيقيّةِ، لكنَّهما لم يُفْلِحا فَاقتنعا أخيراً بأنْ ينمّيا هذهِ الموهبةَ وَيَرْعياها بالدَّرسِ والتَّمرينِ، لذلكَ سَجَّلا سامي في معهدِ الفنونِ الموسيقيّةِ حيثُ تعلّمَ العزفَ على مُعظمِ الآلاتِ الموسيقيّةِ، ولم يتعلقْ بواحدةٍ مِنها كما تعلّقَ بالكمانِ. وهو الآنَ عازفُ كمانٍ بارعٌ يحلُمُ بالشهرةِ من خلالِ عزفِهِ الجميلِ، لكنَّ حلْمَهُ لم يَتحققْ.

كان يُدركُ أنَّهُ إذا عزَفَ خارجَ مدينتِهِ الصغيرةِ فمنَ المؤكَدِ أنَّه سيشتَهرُ، لكنَّه يحبُّ مدينَتَهُ الصغيرةَ التي نَشَأَ فيها ولا يريدُ أنْ يتركَهَا، فكلُّ شيءٍ فيها يشدُّهُ إلى البقاءِ. وكلَّما لاحَتْ في رأسِهِ فكرةُ الهجرَةِ لبناءِ مستقبلٍ أفضلَ، تموتُ الفكرةُ تلقائياً عندَما يفكّرُ بأمِّهِ العجوزِ، فماذَا يفعَلُ بها إذا سافَرَ وتركَهَا؟ فهوَ وحيدُها ولا أهلَ أو أقرباءَ لهُ يهتمونَ بها أثناءَ غيابِهِ، لذلكَ إقتنعَ بحالَتِهِ هذهِ وبَقيَ عازفاً في الصفوفِ الخلفيّةِ لأوركسترا المدينَةِ وأمامَهُ قائدُ الأوركسترا ذو الخمسين عاماً بعصاهُ السحريّةِ

وثيابِهِ السوداءِ الأنيقةِ، وقلبِهِ الطيِّبِ، ولطفِهِ المعرُوفِ. يُحرِّكُ يَدَيْهِ برشاقَةٍ، فتبدأُ الفرقةُ في العزفِ، لذلكَ أحبَّهُ سامي وأُعجبَ بِهِ وأرادَ أن يتعلّمَ فنَّ قيادةِ الأوركسترا.

هُوَ يدركُ أنّهُ لن يصلَ إلى مُستوى أستاذِهِ بسرعةٍ، لكنّهُ إذا واظبَ وثابَرَ يستطيعُ أن يصلَ إلى ذلكَ المستوى بسهولةٍ. ولماذا لا يواظبُ ويثابرُ ليصلَ إلى هدفِهِ؟ لماذا لا يحققُ ما حَلُمَ بهِ من شهرةٍ؟

إنَّ التجاربَ التي مرَّ بها سَابقاً في حياتِهِ علَّمَتْهُ أنَّه إذا أرادَ أن يصلَ إلى هدفِهِ، عليه أولاً أن يعرفَ ماذا يريدُ، وثانياً العملُ المستمرُّ للوصولِ إلى ذلكَ الهدَفِ. وهوَ يعرفُ ماذا يريدُ، إذاً عليه أنْ يعمَلَ لتحقيقِ هَدفِهِ. لذلك اشتَرى عَصَا القيادَةِ والكتبَ التي تعلّمُهُ أصولَ القيادةِ. ولأنّه عازفُ كمانٍ فقدْ كانَ الباقي سهلاً عَلَيهِ.

وبدأَ يَتعلّمُ. كان كلَّ ليلةٍ بَعدَما يرجعُ من عملِهِ في الأوركسترا، يُغلقُ بابَ غرفتِهِ، يُديرُ آلةَ التسجيلِ، ويتمرَّنُ على

تحريكِ العَصَا لتناسبَ موسيقَى المعزوفَةِ التي يتمرّنُ علَيها، بعدَ أن يكونَ قد دَرَسَ الأصولَ في الصَّبَاحِ.

ومرّتِ الليالي وسامي يتمرَّنُ ويتمرَّنُ حَتَّى أصبحَ واثقاً من أنَّه يَعرِفُ كيفَ يقودُ الأوركسترا ببراعَةٍ تفوقُ براعةَ القائدِ نفسِهِ. ولكنْ!؟ لماذا تعلّمَ فنَّ قيادَةِ الأوركسترا؟ ألمْ يتعلّمْهُ ليصبحَ قائدَ أوركسترا مشهوراً؟



إنّ الموانعَ التي كانتْ تَقفُ في طَريقِ تحقيقِ حلمِه ما زَالتْ كَما هِيَ، إضافةً إلى أنَّ مديرَ المسرحِ الذي يعملُ فيهِ نَصَحَهُ بالتخلّي عن فِكرَتِهِ لأنَّ لَدَيهم قائداً ولا يريدونَ الاستغناءَ عَنْهُ.

وفي ليلةٍ بينَما كان العازفونَ يتأهّبونَ للعَزفِ. دَخَلَ مديرُ المسرَحِ وهُوَ يخبطُ على رأسِهِ ويردّدُ: «مصيبة؟! مصيبة؟! ماذا سنفعَلُ؟ من أينَ سنجلبُ بديلاً الآنَ؟ من أين؟»

وانتشرَتِ الضَّجّةُ بينَ العازفينَ. الكلُّ يستفسِرُ ما في الأمرِ. هذا يُحدِّثُ ذلكَ، والآخرُ يتهامسُ مع أصدِقائِهِ الذينَ حولَهُ، والحُضُورُ بدأوا يَنظرونَ في ساعاتِهِم لتأخّرِ رَفعِ الستارةِ، والمديرُ مُنهمِكٌ في الإجَابةِ على الأسئلةِ، لقد عُرِفَ أنّ قائدَ الأوركسترا قَدْ صدَمَتْهُ سيارةٌ بَينَما كانَ يدخلُ المسرحَ فنُقِلَ إلى المستَشْفَى.

وَدَخَلَ سامي المسرَحَ مع صديقٍ من أصدقائِهِ العازفينَ، وتوجَّهَ إلى مَقعدِهِ في الصفُوفِ الخلفيَّةِ. لم يكنْ يَدري ماذا حلَّ بالقائِدِ. لقد لاحَظَ الضجَّةَ منتشرةً بينَ صفوفِ العازفينَ، ورَأى المديرَ في حَالةِ اضطرابٍ ينظُرُ إليه بعينينِ مُتسائلتينِ، لكنَّه لمْ يُعِرْ تلكَ الأشياءَ كلَّها إهتماماً، فَهيَ تحصلُ بينَ حينٍ وآخرَ عندما يتأخّرُ أحدُ العازفينَ عن المجيءِ في الوقتِ المحدَّدِ. وبينَما هُوَ يأخُذُ كَمانَهُ من علبَتِهِ، وقَفَ مديرُ المسرحِ أمَامَهُ. لم ينتبهْ سامي له إلاّ عندَما قالَ الأخيرُ:

«هذهِ فُرصَتُك...! هيّا...»





تعجَّبَ سامي من كلام المديرِ
ونظرَ حَولَهُ ليتأكَدَ إذا كانَ المديرُ
يكلّمُهُ أمْ يكلّمُ أحداً آخرَ. لكنّ المديرَ
عَادَ وقَالَ لَهُ:

«نعمْ... أنتَ... سامي... هَذهِ
فُرصتُك!».

فأجابَ سامي مُتعجِّباً:

«فُرصَتي!... فُرصَتي في مَاذا؟»

أجَابَهُ المديرُ:

«في قيادةِ الأوركسترا!؟»

ردَّ سامي بسرعةٍ: «والقائدُ؟!».

أجَابَهُ المديرُ هَازِئاً:

«كأنَّكَ لا تعرِفُ..! لقد صدَمَتْهُ سيارةٌ وهوَ يدخلُ المسرحَ،
ولا يوجدُ أحدٌ غيرُكَ لتولّي قيادةِ الأوركسترا»

فَتَحَ سامي فَمَهُ متعجِّباً وقَالَ:

أنَا!؟... غيرُ معقولٍ... لمْ أكنْ أدرِي؟..

قاطَعَهُ المديرُ بصوتٍ عالٍ:

«غيرُ معقولٍ؟! ألم تأتِ إلى مَكتَبي عدَّةَ مرّاتٍ طالباً أن أعطيَكَ ولو فرصةً واحدةً لقيادةِ الأوركسترا؟... ها هي الفُرصةُ قد أتتْكَ، فاغتنمْهَا»

وتردَّدَ سامي لعدةِ لحظاتٍ ثمَّ قالَ:

«لكنْ... لكنْ...»

أجَابَهُ المديرُ: «لا مَجالَ للتردُّدِ، أنتَ تعرفُ القطعةَ الموسيقيّةَ جيّداً، وتقولُ إنّكَ تمرّنْتَ عليها أكثرَ من مرةٍ، فمَا عليكَ إلا أن تُمسِكَ العَصَا وتقودَ الفرقَةَ.



نَظَرَ حولَهُ فوجَدَ رفاقَهُ العازفينَ يشجِّعونَهُ. فتردّدَ قليلاً ثمَّ نَهَضَ، ثمَّ عَادَ وجَلَسَ في مكانِهِ وهُوَ يقولُ: «لا... لا أستطيعُ».

إقتربَ المديرُ منهُ وقالَ بصوتٍ هادئٍ:

«سامي... أرجوكَ. أنقِذْنا من هَذهِ الوَرطَةِ. الحضورُ بدأوا يملّونَ، موعدُ رفعِ الستارةِ تأخرَ ثلثَ سَاعةٍ...» عَادَ ونَظرَ إلى رفاقهِ فوجَدَهُم يلوّحونَ برؤوسِهِم له كأنَّهُم يقولونَ: «هيّا... قمْ». نَهضَ وسارَ بخُطًى بَطيئةٍ إلى مكانِ قائدِ الأوركسترا. أمسكَ العصا، تأمّلَها وابتسَمَ.

صحيحٌ أنّه أَمسَكَ عَصَا القيادةِ من قبل عدةَ مرّاتٍ، لكنَّهُ الآنَ كأنّهُ يُمسِكُها لأوّلِ مَرّةٍ... ويداهُ، لماذا ترتجفانِ؟ وعرقُهُ، لماذا يتصبّبُ من جبينِهِ بغزارةٍ؟ ولم يستفقْ من تساؤلاتهِ إلاّ على تصفيقِ الجُمهورِ، فاستدارَ وانحَنى يشكرُهُم، ثم استدارَ إلى الفرقَةِ ورفَعَ العَصَا بيدٍ مرتجفةٍ... وانسَابتِ الموسِيقَى.

ونَجَحَ في قيادَةِ الأوركسترا لساعةٍ ونصفٍ حتى إنَّ الجُمهورَ صفّقَ كثيراً، والمديرَ ركَضَ إليهِ يقبّلُهُ ويشكرُهُ، والزملاءَ هَنَّأوه بحرارةٍ وهوَ مذهولٌ يمسَحُ عَرَقَهُ المتصَبِّبَ بكثرَةٍ ولا يعرفُ على مَنْ يُجيبُ...

وبعدَ الانتهاءِ عَادَ إلى بيتِهِ ونظَرَ إلى الكتبِ التي كان يَدرسُ فيها، وإلى العصا التي كانَ يتمرَّنُ بِها وهي مُلقاةٌ على سريرِهِ. واستعادَ في بالِهِ سهرَ الليالي وساعاتِ التمرينِ الطويلةَ. لقد أعطَتْ ثمارَهَا في هذهِ الليلةِ بالذاتِ، وحاولَ أنْ ينامَ، فكانَ كُلّما يَضَعُ وجهَهُ على الوِسادةِ تعودُ إلى ذاكرَتِهِ حوادثُ تلك الليلةِ، فيعودُ ويجلسُ في سريرِهِ ويُمسِكُ الوسادةَ ويَرميها على الأرضِ فَرِحاً، ويَضحكُ ويَضحكُ حتى نامَ.

وبقيَ قائداً للفرقةِ لعدةِ أسابيعَ. الكلُّ يشهدُ أنَّ له أسلوباً مميّزاً في قيادةِ الفرقةِ. وكمْ من مرةٍ حاولَ مديرُ المسرحِ أنْ يشيرَ له بيدِهِ وهوَ يقودُ الأوركسترا، لكنَّ سامي لمْ يكُنْ ينتبهُ لَهُ لأنَّه كانَ في عالمٍ آخرَ مندمجاً اندماجاً تامّاً في القطعةِ الموسيقيّةِ التي يقودُهَا بمشاعرِهِ وأحاسيسِهِ وعَواطِفِهِ وكلِّ أعضاءِ جسدِهِ من رأسِهِ حتى أخمَصِ قدميهِ. لذلكَ اشتهرَ كثيراً، وكانَ الحضورُ يصّفقونَ لهُ بعدَ كلِّ حَفلةٍ أكثرَ من مرةٍ وهُوَ يَنحني لَهُم شاكراً إعجابَهُم وثقتَهُم بِهِ.

وتوالتِ الأيّامُ، وسامي مِن نَجاحٍ إلى آخَرَ. كانَ يسمَعُ بعضَ الأحيانِ الأحادِيثَ التي تدورُ بينَ أصدقائهِ العازفينَ بأنَّ القائدَ القديمَ أصبحَ بصحةٍ جيِّدةٍ وقد يعودُ إلى عَملِهِ من جديدٍ. ولكنْ! لماذا يُخفي مديرُ المسرَحِ هذهِ الحقيقةَ عنْهُ؟ لماذا لا يواجهُهُ ويقولُ لَهُ: «عذراً سيد سَامي. الضرورةُ لها أحكامٌ. لقدْ أصبحَ القائدُ القديمُ بحالةٍ جيدةٍ وسيعودُ إلى عملِهِ بعدَ أسبوعٍ أوْ أسبوعَين».

إنَّ المديرَ لا يكلّمُهُ بِهذا الموضوعِ أبداً كأنَّهُ لا يريدُ منْهُ أنْ يَترِكَ قيادةَ الأوركسترا لغيرِهِ، ولو كانَ يريدُهُ أن يترُكَ لَما ضَاعَفَ له راتِبَهُ ليبقيَهُ فيما هوَ فيه.

وهُو... سامي، هل يَبني شهرَتَهُ ويحققُ أحلامَهُ على حسابِ غيرِهِ؟ لقد عَرَفَ أنَّ القائدَ القديمَ خرجَ من المستَشفى وسيعودُ إلى الفرقَةِ. وماذَا سيحلُّ بهِ؟ هل سيعودُ عازفَ كمانٍ مغموراً كمَا كانَ في السابقِ؟

وذاتَ صباحٍ توجّهَ إلى بيتِ قائدِهِ القديمِ حاملاً مَعَهُ عَصَا القيادَةِ. قدّمَها لأستاذِهِ قائلاً:

«لا قائدَ لنا غيرُكَ».

إستغرَقَ القائدُ في الضحكِ، وتعجَّبَ سامي، لكنَّ القائدَ انتشَلَهُ من تعجُّبِهِ وقالَ له بصوتٍ حنونٍ:

«لقَدْ أصبَحَ العملُ يُتعبُني يا سَامي، وبما أنَّني لمْ أجدْ أحداً بارعاً يَتولّى الأوركسترا قَبلَ الحادثَةِ، ولمْ أكنْ أعرفُ أنّكَ بارعٌ لهذِهِ الدرجَةِ، لذا اضطُرِرْتُ أن أبقى قائداً للفرقَةِ. وبما أنَّ الفرصةَ قد جاءَتْ بِنفسِها، وقد آنَ لي أن أرتاحَ، لذلك سأبقَى في البيتِ ولنْ أعودَ إلى مُزاولَةِ مِهنَتي».

وهكَذا ظلَّ سَامي قائداً للأوركسترا.

ألا تعتقدونَ مع سَامي

أنَّ الدُنيا حُظوظ؟



الدّنيا حظوظ

تأليف سمير مالطي
رسم ساندرا غصن